معالمُ القوةِ والتأثيرِ في الخطبة الفدكيّة

دراسةٌ في المؤازرات اللانصّية

Fount of Effect and Impact in the Fadic Sermon
(A Study on Noncontextual Nexuses)

أ.م.د. زهراء نور الدين قاسم

Asst. Prof. Dr. Zahra Nooraldin Qassim

معالمُ القوةِ والتأثيرِ في الخطبة الفدكيّة
دراسةٌ في المؤازرات اللانصّية

Fount of Effect and Impact in the Fadic Sermon
(A Study on Noncontextual Nexuses)

أ.م.د. زهراء نور الدين قاسم
جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Zahra Nooraldin Qassim
University of Kufa / College of Education for Women / Department of Arabic

zahraalja@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول:٥/ ٥/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص:

لم تقصر خطبة الزهراء عليها السلام الفدكيّة على قوّة النسيج اللغويّ لها بل استثمرت جميعَ المؤازرات والعوامل غير اللغويّة في تقوّية تأثيرها في المتلقّي، نحو: استثمار نفسيّة المتلقّي ثمّ كسر أفق التوقّع لديه، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة مثلّث الحدث والزمان والمكان، والتوطئات المسرحيّة، وشخصيّة المتكلّم، ومناسبة المقام، وتلوين الأداء الصوتيّ، والزخم الحدثيّ اللّاحق؛ فكانت بذلك مثالا يحتذى للثائر الحذق الواعي الذي نجح في سلب الشرعيّة عن المستبدّين، وتمكنت من تأسيس خطّ الممانعة الأوّل المتصدّي للحاكم الظالم في تاريخ المسلمين، وأطلقت الشرارة الأولى لجميع الثورات الإصلاحيّة التالية لها.

الكلمات المفتاحيّة: قوّة الخطاب، تأثير الخطاب، مؤازرات النصّ، خارج تركيب النصّ.

Abstract

Al-Zahra (Peace be upon her) never confines her Fadakian sermon to the power of its linguistic texture. Indeed, it employs all the non - linguistic effects and factors in strengthening and intensifying its influence on the recipient such as the recipient's mood to broaden his horizon, manifest ground in the text to maintain communicative processes and to harmonize the triangle of action, time, and place, theatrical touches to convey the speaker's personality and situation, diversity in performance and convenient speech acts. She grows as an example of the conscious and sheer revolutionary who succeeds in devastating the legitimacy of the tyrants and establishes the first line of resistance against the oppressive ruler in the history of Muslims and the first spark of all subsequent reform revolutions.

المقدّمة

ما دام علماء المسلمين من المتقدّمين والمتأخّرين يسلّطون الضوء في كتاباتهم على المرحلة التي أعقبت وفاة الرسول محمّد ﷺ ؛لأنّ هذه المرحلة مثّلت شرارة انطلاق الانقسام بين المسلمين وبداية الانحراف عن الصراط المستقيم، متمثّلا بالظلم الكبير الذي وقع على آل النبيّ وبقيّته في الأرض.

وقد تنوّعت هذه الدراسات وأنماطُ مشاربِها ومناهجُ معالجاتها بين أخذ وردٍّ، وقبول ورفض، ورؤى حديثة وأخرى قديمة، ومقولات سابقة وقراءات معاصرة، وكأن فضول الكتّاب وظمأ قلمهم لم يرتويا بعد؛ لجلل الواقعة وشناعة تفاصيلها، وقد وقفت في مطالعاتي على دراسات كثيرة تناولت المستوى اللغويّ لخطبة الزهراء ﷺبناءً وأسلوبا وبلاغة وضمّت تلك الأبحاث مستويات اللغة كلّها صوتا وصرفا ونحوا ودلالة، وطُبِّقَ على نصّها اللغويّ كثير من المناهج اللغوية القديمة واللسانيّة الحديثة؛ فلم تبقَ شاردة ولا واردة في النصّ إلا وكان للكتّاب رأيٌّ فيها، وما زال في المنهل متّسع لوارد!.

إنّ مستوى أيّ نصّ لغويّ وقيمته التأثيريّة في المتلقّي وما يخلقه من وسط تفاعليٍّ وما يكنّه من قِوى مختلفة الأنماط ،لا يقف على ألفاظه اللغوية المنسوجة في سياق ما فقط، مهما بلغ مستوى النصّ علوّا ومهما تحشّدت فيه من معالم التأثير اللغويّة، ومهما كان لفظه وبلاغته وسياقه وحبكته رفيعا.

هناك مَعَالِم ومُصاحِبات أخرى تحيط بالنصّ وترافقه؛ فتعضّد قوّته وتزيد في أثره وتؤكّد مراميه، أو ربّما تُضعفه وتفتك به وتُميتُه؛ فيصبح نسيجا لفظيّا لا ينماز إلّا بحلاوة لفظه وطلاوة لغته؛لذا جاءت هذه الدراسة لتفصّل القول في هذا كلّه ولتستشرف قوّة النصّ وتأثيره من طريق مؤازراته اللانّصيّة، لاسيّما وأنّ الدراسات

لا تفرد بحثا خاصا أو دراسة منفصلة عن تلك العوامل، بل يوجد فيها إشارات ضعيفة من دون الاصطلاح عليها.

تمهيدٌ في مصطلحاتِ عنوانِ البحث

لا يستوي مصطلح (قوّة الخطاب) ومصطلح(تأثير الخطاب)؛ فقوّة الخطاب يقوم على ملاكه اللغويّ وخاصيّة إبلاغيّته، وأمّا تأثير الخطاب فهو النتيجة القائمة على القول، والتي يرغبها المتكلّم عادة، وينبغي ألّا يُخلط بينهما بحسب ما يرى أوستن[1]، وهو الصواب.

فقوّة الخطاب تقوم على ما هيّة المعاني التي يقصدها الخطاب ومكنة لغته ومقدرتها في بيان تلك المعاني والترويج لها، وهذا أمرٌ يتوقّف على كفاءة المرسل متكلّما كان أو كاتبا، على حين يتعلّق (تأثير الخطاب) بالمتلقّي ويقف عليه أيضا؛ فقد لا ينصاع المخاطب لمضامين الخطاب أو يتوانى فيها، إذ لا علاقة تلازميّة بين قوّة الخطاب وبين تلقّي المخاطَب له وإنجاز مطالبه، وهذا ما كان من خطبة الزهراء عليها السلام التي لم يلتزم المخاطبون مراميها؛ فلم يُصحّح الانحراف ولم يقوّم الاعوجاج، وبقي الحقُّ مغصوبا والباطل متسيّدا. ولا يمكن الإعمام بعدم التحقّق على جميع مرامي الخطبة، فنسلبُها أثرَها في المخاطب كاملا؛ فقد حققّت الخطبة قسما من أهدافها ولاسيّما تعرية المتشبّثين بالحكم عن الشرعيّة، وكشف ضلالهم وخطير جنايتهم في الأمّة.

أمّا (المؤازرات)، فلغة هو جمع لاسم الفاعل المؤنّث (مؤازرة) من الفعل الرباعي (آزرَ) و«الهمزة والزاء والراء أصل واحد، وهو القوّة والشدّة»[2] وأمّا اصطلاحا؛ فأعني به: جميع العوامل التي تؤازر الكلام وتُقوّي مضامينه وتشدُّ تأثيره في المتلقّي، نحو: التوطئات المسرحيّة، وكسر أفق التوقّع غير اللغويّ، والزخم

الحدثيّ اللّاحق، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة الحدث، والزمان، والمكان، والمقام، وشخصيّة المتكلّم، ونفسيّة المتلقّي.

وأمّا (اللانصِّية) فأعني بها المؤازرات الخارجة عن تركيب النصِّ نفسه.

وللمؤازرات اللانصّيّة مساحة اشتراك مع (السياق غير اللغويّ)؛ فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص؛ فبعض من المؤازرات تدخل حيِّز السياق غير اللغويّ، نحو: الزمان والمكان وشخصيّة المتكلّم، وقسم آخر من المؤازرات يقع خارج نطاقه فتكون خاصّة بالمؤازرات، نحو: الزخم الحدثيّ اللاحق الموافق لأغراض النصِّ ومقاصده؛ فهو من أهمّ القضايا التي تؤازر النصّ في وظيفتها التأثيريّة في المتلقّي وتزيد من قوّته لديه، على حين لا علاقة له بفهم دلالة النصّ بوصفه عاملا إضافيّا من عوامل السياق الخارجيّ، وعلى هذا النحو أيضا كسر أفقِ التوقعِ غيرِ اللغويّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة وغيرهنّ.

وللمؤازرات اللانصّيّة تقارب مفهوميّ مع مصطلح (ظروف النجاح) في قضيّة أفعال الكلام، تلك الأفعال التي ينبغي أن يكون لها ظروف مؤاتية لتحقّق إنجازيتها في الواقع الخارجيّ، بيد أنّ ظروف النجاح مدرُاها الشروطُ الواجبُ توافرها في المتكلّم والمخاطب والموضوع، والعلاقة بين كل واحد منهما فحسب، على حين تتّسع المؤازرات بحسب مصاديقها المبيّنة في التعريف المذكور آنفا فتشمل عوامل أخرى.

لقد تحلّقت حول خطبة الزهراء عليها السلام مجموعة من المؤازرات المساندة لنصّها اللغويّ، أسهمت بتكامل الحدث الخطابيّ، وهيّأت الخطبةَ لتأخذ منزلتها التي تستحق بوصفها وثيقةً لغويةً تؤرّخ لأخطر انعطافة في تأريخ المسلمين، ونصّا ثوريّا منتفضا على ذلك.

وللأسف فإنّ الدراسات التي تسلط الضوء على دراسة النصّ اللغويّ للخطبة ومواطن بلاغته وفصاحته تغفل هذه المؤازرات ولا تُعيرها أهميّة، على الرغم من أنّ النظريّات اللغويّة الحديثة تؤكّد أنّ عمليّة التواصل اللغويّ في الأصل لا تقف على حيّز الكلمات فقط، بل تتعداها إلى أحياز أخرى أضحت واضحة معروفة لدى جميع الباحثين.

والمقام يتّسع تفصيلا طويلا وتفريعات كثيرة، ولكن تجنّبا للإطالة وتعويلا على توضيح الدراسة التطبيقية أقول: إنّ أهمّ المؤازرات اللانصّية لنصِّ خطبة الزهراء عليها السلام والتي كانت من معالم القوة والتأثير فيها، هي:

خصوصيةُ المُرسِل ومكانته:

فالخطبة الفدكيّة لو كانت صادرة عن امرأة من عوام نساء المسلمين غير فاطمة عليها السلام لم يكن لنصّها التأثيرُ نفسه، بل لن يكون له هذا الذكر مهما بلغ نسيجها اللغويّ بُسُوقًا، ففاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو نبيّ القوم ورسول الله إليهم بل رسوله للعالمين، وخلوصُ إيمانِها وشدةُ تقواها وعظيمُ حرصِها على الدين الحنيف قطعيّاتٌ لا شكّ فيها لدى المسلمين؛ فإن خالفوها فهم يعلمون أنّهم يجافون الحقّ، ويتّبعون شهواتهم التي لم يقاوموها في لهثهم وراء السلطة والملك، يعلمون أنّهم يُجانبون الصراط القويم، ويمتطون مهاوي الفتن، ويلِجون ظُلمات بحور الآثام... إنّ منزلة الزهراء عليها السلام المعروفة عند القوم كانت أوّل ما ساند النصَّ(الخطبة) في وظيفته التي وُجِدَ لها.

التمهيدُ المبكّرُ للنصِّ:

جرت العادة لدى بعض الكتّاب المعاصرين أن يُقدِّم كتابَه بصفحة يترك فيها القلمَ لمؤلِّف مرموق آخر يتحدَّث عن براعة الكاتب أو موضوع الكتاب أو أهميّته أو رأيه في الكاتب أو غيره من الموضوعات التي تُقال في تلك المقدّمة السريعة، والفائدة من ذلك التمهيد للمتلقّي لإنعام النظر في الكتاب والتأنّي بقراءته والتأمّل فيه، بعدما اعتقده من براعة الكاتب وصحّة ما سيبثّه في الكتاب وسلامة المضمون، بحسب ما بثّه ذلك الكاتب الآخر في التمهيد للكتاب.

والخطبة الفدكيّة كانت من النصوص اللغويّة النادرة في تاريخ البشريّة الّتي مُهِّد لها قبل بونٍ من الزمن وقبل سنوات من ولادتها، فزاد ذلك من شدّة وطأتها على القوم؛ إذ لم يفتأ النبيّ صلى الله عليه وآله في محافل مختلفة يؤكّد صادحا: «فاطمة بضعة منّي يرضيني ما أرضاها ويُغضبني ما أغضبها»[٣] ، و«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[٤] وأنّ «فاطمة سيدة نساء العالمين»[٥].

وما يعني كلام النبيّ هذا؟!

أو لا يعني -فيما يعنيه على كثرته- أنّ هذه الخطبةَ امتدادٌ لخطب النبي نفسه ؟!

أو لا يعني أنّ هذه الخطبة هي بضعة من كلامه مثلما كانت قائلته بضعة منه؟!

أو لا يعني أن الخطبة الساخطة على القوم إنما هي من سخط الله ورسوله عليهم؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا...

كسر أفق التوقّع:

لكلّ متلقٍ أفقٌ من التوقّعات حول النصّ وملامحِهِ تسبقُ لحظةَ انتاج النصّ ولحظةَ التقائه به، وأفق التوقّع هذا لا يُرسم ولا تُحدّد أبعاده لدى المتلقّي كيفما اتّفق، وإنّما يُحدد سقفه وتُخطّ ملامحه على وفق معارف المتلقّي القديمة ومفاهيمه وإدراكاته وتصوّراته بغض الطرف عن صحّتها وسقمها، فالمهم أن نعرف أنّ هذا المتلقّي يبني أفق توقّعه عن النصّ الجديد الذي سيتلقّاه استنادا إلى خبراته ال قديمة والمعلومات الحاضرة لديه.

ثمّ إنّ قوّة النصّ التأثيريّة سواء أكانت سلبيّة أم إيجابيّة ترتبط بمدى التعارض بين ما يُقدِّمُهُ النصُّ و ما يتوقّعه القارئ؛ فكلّما كان النصُّ أقوى في كسر مستوى أفق التوقع لدى المتلقّي كان أشدّ وقعا عليه وفتكا به!

وينبغي الإلتفات إلى أنّ كسر أفق التوقّع مصطلح يتعدّى محيط لفظيّة النصِّ إلى وقائع أخرى تتّصل بسياق النصّ غير اللغويّ على نحو ما سنرى بعد قليل.

ولو عدنا إلى تلك المرحلة المتقدّمة من تاريخ البشريّة وفي تلك البقعة الصحراويّة الخالية من جذور حضارةٍ سابقةٍ، وفي ذلك المجتمع الذكوريّ فسنجد أنَّ المتلقّي كان يبني مفاهيمه وأفق توقّعه على أنّ المرأة مخلوق ثانويّ يحيا على هامش حياة الرجل تلبّي غرائزه وتقوم بحاجات منزله ليس إلّا، مخلوقٌ لا شأنَ له بسياسة ولا حكم ولا إصلاح ولا ثورة ولا مناهضة، وحدها دعةُ الحياة ونعيمها وزخرفها وزينتها المطلب الأعلى سهما لديه... والحقّ يُقال إلى العصر الحاليّ لم تستطع نسبة كبيرة من النساء تجاوز هذه العقبة، وقد قال تعالى في تشخيص ذلك: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨))(الزخرف:١٦-١٨).

عودا على بدء أقول لو عدنا إلى ذلك العصر فسنجد أنّ أفق التوقّع لدى المتلقّي آنذاك لم يكن يألف أن تستبسل امرأةٌ من النساء في وجه أكبر قوّة موجودة آنذاك، قوّة اغتصبت الحكم وتربّعت على عرشه، ويزداد الأمر خروجا عن المألوف وكسرا للتوقّع إذا كانت هذه المرأة شابة صغيرة لم تبلغ العشرين من العمر، ولم تستوفِ -بحسب السائد لدى من تقاربها عمرا لا بحسبها هي- سنين خبرتها ولم تدخل معترك حياتها فتكتسب جرأة وتنمّرًا في مواجهة الباطل.

وتتّسع الهوّة بين حدث تلك الخطبة التي شكّلت لحظة مواجهة حامية الوطيس، وبين سقف توقّع القوم ومعارفهم السابقة عن شخصيّة الخطيبة؛ إذ إنّها لم تكن تألف صعود المنابر والخطبة في المسلمين، ولم تكن قد شهدت مجالس الرجال العامّة، وإنّما تلحّفت تجنّبَ الرجال عفّة ووقارا... كلّ هذا شكّل كسرا كبيرا جدّا لأفق توقّعهم وخروجا عن ما ألفوه واكتنزوه في معارفهم السابقة، وهذا الكسر الحادّ لأفق توقّعهم شكّل شراعا رئيسا في دعم الخطبة وفي شقّها بحور النفس والتوغّل في عمق محيطها وبثّ الدهشة فيها، فكان من أهم معالم قوّتها.

موافقة الخطبة للحدث:

إذا كانت ثورة الكلمة التي قادتها الزهراءُ لا بعلُها قد كسرت أفق التوقّع لديهم فشكّلت عمادا لقوّة الخطبة؛ فإنّ موافقةَ الخطبة للحدث القائم شكّل عمادا آخر لها، لا يقلّ شأنا ولا يتخلّف موضعا في مضمار المؤازرات المتنافسة على دعم الخطبة وتخليدها.

إنّ بلاغة ما يُقال لا تُقاس برُقِيِّ كلماته وعذوبة ألفاظه وهيأة مقاله، ولا حتّى بجمال تراكيبه وانسياب فقراته وانسجام جمله، ولا برفيع معانيه وقوّة مضامينه ودقّة مفاهيمه، ولا بكثرة أساليبه وتنوّع أصنافها ومجازات استعمالها... إنّ بلاغة

القول لا تتوقف على هذا كلّه، فكلّ ما ذُكِرَ هو فنون بلاغيّة وأنماط كلاميّة تعضِّد النصّ، ولكنّ بلاغته لاتقف عليها بوصفها الحجر الأساس في الموضوع.

فالتعريف الرئيس للبلاغة هو أنّها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[٦]، ثمّ يأتي ماذُكِر آنفا تاليا لهذا، فأيُّ قولٍ لا يناسب مقتضى الظرف وحاله يخرج عن مقام بلاغة الكلام إلى مراتب دونيّة أخرى، مهما بلغ ذلك القول ومهما رُصّع بفنون قوليّة أخرى ومهما حُشّدت فيه من أدوات تقويّة القول ونجاحه، ولهذا نجد أنّ النصوص العالية من الشعر والنثر التي تخلق أثرا كبيرا في المتلقّي تَبنِي في الغالب سياقا مقاميّا تبثّه في ذهن المتلقّي فيتلقّى النصَّ ثمّ يأخذ برسم صورة متخيّلة عن المقام الذي قيلت فيه، خذ مثلا معلّقة امرئ القيس التي تُعدّ من أرفع النصوص العربيّة غير المقدّسة تجدها ترسم في ذهن المتلقّي لوحة الأطلال بتفاصيلها الدقيقة ثمّ ينتقل الشاعر ليرسم ببراعة في كل مقطع أحداثا كثيرة وتفاصيل ذكيّة، يفيد منها المتلقّي في رسم مقام المقال، فيحكم بعدها على تفرّد المقال وأدبيّته وقيمته في ضوء المقام الذي تجسّد وتصوّر في عقله.

إنّ خطبة السيّدة الزهراء ﷺجاءت منسجمة تماما مع الظرف الذي قيلت فيه، بل هي وليدةُ رحمِهِ وصنيعةُ أحداثِه ونتاجُ حاله، لذا عبّرت عن حاله أحسن تعبير وطابقت مقتضاه خير مطابقة.

ثمّ إنَّ استيعاب الزهراء ﷺلطبيعة الظرف الراهن وقتذاك، ووقوفها على الأسباب الداعية لذلك الزيغ المدلهم، تلك الأسباب التي يترأسُّها ضعفُ إيمان القوم وعدم تمكّن دين الله من جوانح أنفسهم؛ جعلها تُفرِد مساحات مهمة من خطبتها لأصول الدين وأركانه، قد يظنُّها القارئ غير المتدبّر أوّل وهلة ترفا موضوعيّا لا داعي

له في خطبة تُصنّف على أنّها خطبة انقلابيّة في وجه الظالمين، أمّا القارئ الواعي المتدبّر ذلك الظرفَ بدقّة فيفهم جيّدًا أنّ الزهراء عليها السلام قد شخّصت مقدّما أنّ السبب الرئيس في صياغة مجريات ذلك الظرف هو ضعف الدين وسطحيّته في نفوس القوم، فراحت تعالج ذلك كلّه بحسب ما تسمح به المساحات الموضوعيّة للخطبة.

أمّا ملامح ذلك الظرف فلا أريد تكرار القول فيه، فالقارئ يعرف جيّدا ما جرى من أحداث بعد وفاة الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله فلا أريد الإطناب فيه والاسترسال في ذكر ما يعرفه القارئ مليًّا.

التوطئات المسرحيّة:

الخطبة ليست نصّا يولد مكتوبا، وإنّما نصّ تصدح به الألسن أوّلا فيضرب أسماع المتلقّين ثانيا، وعليه قيلت واشتهرت عبارة «الخطيب المفوّه»؛ فهو فنّ أدبيّ يقوم على المشافهة ، وهذه المشافهة تقتضي مساحة من التلاقي المباشر بين الخطيب والمتلقّي ابتداء.

إنّ مساحة التلاقي هذه تضفي على الخطابة تقاربا مع ملامح الفنّ المسرحيّ؛ فالخطبة ترتبط في الغالب بمنصّة إلقاء وهيأة خطيب وتفاعلٍ بين متحدّث ومستمع وكلام مقال، كلٌّ بحسب مقامه في الحدث الخطابيّ.

لنتأمّل وصف نوف البكاليّ حين يقول في مستهلّ خطبة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يرويها: «خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير»[٧] إنّ مثل هذا الخطيب المتفرّد في عصره الذي يرسم لسامعيه هذا المشهد قبل أن يغور في وعظهم وإرشادهم لكفيل بأن يضمن التأثير الكبير فيهم، فقد أحرز

مقدّما التوطئات المتوائمة لخطبته من دون عناء أو تكلّف أو مراءات –حاشاه عن ذلك–، بل كان كلّ ذلك جزءا من واقعه المعروف بين الناس في الزهد والتقوى ومجافاة الدنيا وتطليقها.

ولو عدنا لخطبة مولاتي الزهراء عليها السلام فسنجد أنّ مصادر التأريخ تروي المقدّمات المسرحيّة للخطبة بدقّة بالغة، والتي قصدتها الزهراء ورسمتها بخطوات متأنّية بوصفها مقدّمة لازمة لخطبتها أدّت إلى توفير الجو الحذر للخطبة الرافض للمشهد القائم على غواية الشيطان، جاء في رواية الخطبة: «روى عبد الله بنُ الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام أنَّه لمّا أجمع أبو بكر عَلى مَنعِ فاطمةَ عليها السلام فدكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمَّةٍ مِنْ حَفَدَتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وغيرهم فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ المَجلِسُ. ثُمَّ أَمْهَلَتْ هنيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ الله وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَمّا أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها...»[٨]، فلوث الخمار على الرأس، أي: لفُّه على الرأس بهيئة التعمّم يُنبِئ عن مواجهة خطب ما، والاشتمال بالجلباب له سيميائيات عديدة منها أنّها تلك المرأة المحافظة على الدين في حجابها وخطابها، وأنّها ابنة النبيّ الذي جاء بتلك التعاليم وذلك الدين والتي تخرج اليوم لتصحيح مساره، وإقبالُها في لمّة من حفدتها ونساء قومها، أي مجموعة من النساء القريشيّات سيمة على أمور كثيرة، ربّما من ذلك أنّها لا تخلو من ناصر، أو ربّما أنّها تريد لفت الانتباه إلى خطبتها مقدّما وهي في طريقها إلى المسجد لتدفع من لم يكن حاضرا إلى الحضور، فلو سارت وحدها وهي منقّبة لن يتأتّى ذلك لها، إذ لن يعرفها

الناس من وراء نقابها ولكن أن تخرج بصحبة لمّة من القريشيّات فهذا سيلفت انتباه الناس ويعلمون أنّ حدثا مهمّا سيقع، أو ربّما تكون قد أرادت أن تقول بخروجها في لمّة من النساء القريشيّات، أنّها أصل قريش التي اغتُصبت الخلافة باسم الصلة بها، باختصار أقول من المؤكّد أنّ هذه الفقرة من التوطئة للخطبة تحديدًا قد حملت دلالات مهمة كثيرة تعمّدتها الزهراء عن استيعاب ووعيّ لدلالات الأحداث... أمّا صورة «تطأ ذيولها» فأوّلى الدلالات حضورا هي الحشمة المفرطة والتستّر البالغ، وينبني عليها أنّ امرأة على هذا النحو جديرة بأن تخطب في المسلمين وتعمد إلى إرجاعهم الى الدين القويم.. وصورة «ما تخرم مشيتها مشية رسول الله» فهذه بحر من السيميائيّات المتلاحقة تبثّها الزهراء في قوم أضاعوا حقّ رسول الله وظلموا بقيّته وأدنوا البعيد وأقصوا القريب، ولا أريد الإطناب أكثر في شرح سيميائيّات التوطئات المسرحيّة بما يُفسد على القارئ تذوّق استقراء دلالاتها، فضلا عن أنّ مقصدي ليس شرح دلالات السيميائيّات وإنّما التركيز على نباهة الزهراء عليها السلام وما شحنت به خطبتها من توطئات مسرحيّة رصّنت معالم قوّتها وما تتركه من أثر في النفوس.

نمط القناة الإيصاليّة:

إنّ نظريّة الإعلام التواصليّ تذهب إلى أنّ الاتّصال المؤثّر في المتلقّي يقوم على خمسة أركان، هي:

١- مرسل يستعمل اصطلاحا معيّنا أو شفرة معيّنة.

٢- اصطلاحٌ متّفق عليه يستعمل في الإرسال.

٣- رسالة يراد تبليغها وتفاعل المتلقّي معها.

٤- قناة مناسبة تنتقل بوساطتها تلك الرسالة الإبلاغيّة.

٥- مستقبل يفكّ رموز الاصطلاح.[٩]

إنّ القناة الإيصاليّة تمثِّل الطريقة التي سيتّبعها المرسل لإيصال رسالته اللغويّة، فهل سيرسلها نصّا مكتوبا أو قولا مسموعا، ثمّ لو اختار قناة إيصاله نصّا مكتوبا مثلا فما تلك الملامح التي سيقولب القناة بها؟ هل سيجعلها نثرا مرسلا أو يجعلها شعرا؟ ماهيأة الكتاب الخارجيّة؟ ما طريقة تقسيمه وتبويبه؟ من سيقدّم الكتاب له؟ وغيرها من التفصيلات الكثيرة لشكل القناة التي سيوصل المُرسِلُ رسالته من طريقها.

ولمّا كانت القناة الإيصاليّة لأيّ رسالة لغويّة تعدُّ ركنا أساسيّا مهمّا تقوم عليها نظريّة الإعلام التواصليّ برمّته، لذا كان واجبا على المرسل الاعتناء بها والنظر في تفاصيلها ومدى تناسبها مع طبيعة رسالته.

ولم يفت فاطمة الزهراء ﷺهذا، وسعت إلى أن تكون قناتها الإيصاليّة عاملا رئيسا من عوامل قوّة خطبتها، فاختارت أن تكون تلك القناة المشافهةَ المباشرةَ، فلم تجعلها نصّا مكتوبا يلقيها على القوم رسولٌ إليهم تكلّفه بها، ولم تجعلها خطبة يوصلها ويلقيها أمير المؤمنين ﷺ بدلا عنها.

بل اختارت أن تجعلها خطبةً تلقيها على القوم مشافهة بنفسها، وإنِّي لأستشعر صعوبة اختيارها هذا بحسب طبيعة حجابها شديد التحفّظ، وأقول جازمة لو لم يكن الأمر عظيما والخطب جليلا لما أخرجها شيءٌ من بيتها ودفعها إلى حيث تجمع جمهور المسلمين في المسجد، ولكنّه الشعور بالمسؤوليّة وواجب الحفاظ على الشريعة المحمّديّة.

إنّ قناة المشافهة المباشرة لمن أفضل القنوات الإيصاليّة التي تضمُن تفاعلا أكبر للمتلقّين مع المضمون الإبلاغيّ، ولاسيّما في النصوص غير الأدبيّة التي لا يهدف من قراءتها التذوّق الفنّيّ للمقول فحسب، فالمشافهة من شأنها أنّ تضيف دلالات

على النصّ كثيرة لا تتأتّى للنصّ المكتوب، بوساطة طريقة تنغيم الملفوظ، وهيّأة المتلقّي وموضع إلقائه والحدث الآنيّ المصاحب الذي يعيشه المتلقّي وغيرها كلّها عوامل تزيد من إيصاليّة الرسالة الإبلاغية للمُرسَل إليه.

وينبغي الإشارة هنا أنّ اختيار الزهراء عليها السلام الخطابةَ قناةً إيصاليّةً لرسالتها دليل على مكنة تلك السيّدة ومقدرتها العلمية والإفصاحيّة والبلاغيّة، فإذا كان كاتب المقال مثلا يستطيع أن يقدّم ويؤخّر ويحذف ويضيف ويبطئ ويرجئ ويقوّم أفكاره ومضامينه ويصحّح جمله وعباراته إلى أن يستوي مقالُه كاملا فإنّ ذلك ليس بمتأتٍّ للخطيب الذي سيواجه جمهورا كاملا بكلام مباشر والخطأ عليه محسوب والزلّة منه مكشوفة، لذا فالملتفت إلى هذه النكتة سيدرك ما قدّمنا قوله عن مقدرة السيّدة فاطمة ومكنتها في هذا المجال.

تلوين الأداء الصوتيّ:

أشرنا آنفا -على نحو سريع- إلى أنّ من بين وسائط القناة الإيصاليّة الشفويّة في إضافة الدلالات على النصّ هو «طريقة تنغيم الملفوظ» وهو الجنبة الرئيسة من جنبات تلوين الأداء الصوتيّ في الكلام المنطوق، يلحقه الفصل في الكلام إذ يحمل دلالات إضافيّة على الكلام المنطوق أيضا، ولا يدخل النبر في هذا الجانب، فمن «المعروف أنّ اللغة العربيّة لا تستخدم النبر كفونيم»[١٠] أي وحدة صوتيّة قادرة على التفريق بين المعاني بإضافة معنى جديد، بل النبر الموجود في جميع كلمات اللغة في الغالبيّة الساحقة من مواضعه لا يتعدّى أن يكون ضغطة صدريّة للصوت في موضع من الكلمة تقال بطريقة تلقائيّة بحسب النطق المعهود لأيِّ كلمة من كلمات العربيّة، فالنبر مثلا على المقطع الأخير في كلمة (نستميل) لا يحمل أيَّ دلالة إضافيّة.

وهذا خلاف للتنغيم والفصل اللّذين يدلّان على معانٍ إضافيّة، نحو: التوكيد،

والانفعال، والدهشة، والغضب، والحزن، والرفض والإيجاب... الخ، إنّ نُطْقَ جملة «أبي هنا» بنغمة معتدلة يدلّ على الإخبار والتقرير، على حين نطقها بنغمة هابطة يدلُّ على الاستفهام، وأمّا نطقها بنغمة عالية فيدلّ على التهكّم أو الوعيد أو التعجّب، على حسب حالة المُرسِل للكلام.

وعليّ الإشارة هنا إلى أنّ تلوين الأداء الصوتيّ يُعدّ من مؤازرات النصِّ المهمّة الخارجة عن تركيب النصّ نفسه وإن كان تأديتها مسألة نطقيّة، فالنصُّ مجرّدا لن يحمل تنغيما ولا أيَّ تلوين صوتيّ ولكنّ الناطق يؤازره بالتلوين الأدائي ليقوّي مراميه ويثبِّت مقاصده. والحقُّ يقال إننا لا يمكن أن نقف بعد أربعة عشر قرنا على طريقة أداء الزهراء عليها السلام لخطبتها صوتيّا، إذ لم نكن حاضرين لنقف على طريقة أدائها للجمل والتراكيب، ولكنّنا في الوقت نفسه نقف على معطيات قاطعة تؤكّد إفادة الزهراء من هذه الجنبة في تقويّة مضامين خطبتها، وهذا يتّضح لنا في مقدّمة ما روي من خطبتها، إذ فيها: «فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنَّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء!»[11] عجبًا عجبا! ها هي الزهراء عليها السلام تفتتح خطبتها بصوت تنغيمي خالص(آه..)، أنّت أنّةً فاختصرت دلالات كثيرة بتنغيم لفظ واحد، الحزن على أبيها المفقود، والتحسّر على ما أصاب الدين القويم، والتوجّع على ضلعها المكسور، وإنكار ما فعله القوم...ألخ وقولها بعد فينة من خطبتها: «أيها الناس ! اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد صلى الله عليه وآله...»[12] يحمل دلالات إضافيّة غير دلالة الألفاظ الظاهرة، فقد أنزلت المخاطب العالم منزلة الجاهل وجعلت غير المنكر كالمنكر لتدلّ على أن أفعال القوم بغصبها ميراثها جاءت منكرة لأبوّته صلى الله عليه وآله لها، ومثل هذا المعنى الإضافيّ لن يظهر ويُبرّز بعيدا عن تنغيم الكلام بنغمة مؤاتية تختلف في شدتها ودرجتها عن نغمة الكلام التقريريّ العادي.

وهكذا مجمل خطبتها مليئة بالمعاني الإضافيّة التي تستلزم التنغيم وأداءها وفق

لون صوتيّ معيّن ليظهر المعنى المراد، وسأكتفي بالمقطع الآتي تمثيلا فالمواضع جمّة لا يسعها المقام، قالت فداها نفسي: «وأنتم الآن تزعمون أنّ لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته أيّها المسلمون! أأغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة؟ أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟»[١٣] ففي الكلام دلالات إضافيّة بالغة كالتعجّب والإنكار والتهكّم والسخريّة، وليس غرضي تفصيل القول فيها فهذا من متعلقات الدراسات اللغوية، ولكني أوردها لأبيّن استعانة الزهراء ﷺبالتنغيم بوصفه ملمحا فوق التركيب اللغوي، يعدّ من معالم القوّة والتأثير للنصّ.

التعضيد النصّيّ الخارجيّ:

سعت السيدة الجليلة فاطمة الزهراء ﷺإلى تثبيت مضامين خطبتها الفدكية بكل الوسائل التي تملكت ناصيتها وأمسكت زمامها و أتيحت لها، وقد أبدعت في خلق الطرق وإيجادها ولم تضيّع فرصة سانحة لها إلا أكّدت بها مضامين خطبتها.

من ذلك أنّ نساء القوم قد عدنها في مرضها الذي استشهدت فيه، وذلك بعد ما ألقت الحجّة على القوم، ولم يرعوِ مغتصبو الحقّ عن اضلال جمهور الأمّة، إلّا أنّها لم تألُ جهدا عن مواجهة الباطل في أيّ فرصة تسنح لها، لذلك حين سألنها النسوة عن حالها وقد قاربت الشهادة لم تتطرّق إلى صحّتها المسلوبة وعافيتها المهدورة، بل راحت تؤكّد مقاصد خطبتها الفدكيّة، كي تدفع عن أوهامهم أنّ ما صدر عنها كان عن غضب زائل وجرحٍ عابر، بل هو صراط قويم لا يزيغ عن جادته ولا يزول عن موضعه؛ لذا أجابتهن ﷺ: «أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحدّ واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة وصدع القناة، وخطل الآراء وزلل الأهواء، وبئس

ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون...»[١٤] ثم تُكرّر الدعاء عليهم بألفاظ شتّى؛ فتقول: «فجدعا وعقرا وبعدا للقوم الظالمين»، ثمّ تعدو إلى أصل الانحراف وركنه الهاوي في سلب أمير المؤمنين علي عليه السلام الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول: «وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله. وتا لله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم إليها وحملهم عليها، ولسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا صافيا رويّا، تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطانا ونصح لهم سرّا واعلانا، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب»[١٥]. ثمّ تردف قولها بالتهكّم والتحضيض وعلى وتيرة أبلغ من السابقة قائلة: «ألا هلمّ فاسمع! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم، ليت شعري إلى أيّ سناد استندوا، والى أيّ عماد اعتمدوا، وبأية عروة تمسّكوا، وعلى أيّة ذريّة أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا»[١٦] ... إلى آخر قولها، وهي في هذا كلّه تعضّد خطبتها الفدكيّة بكلام أشدّ وأقوى، فلا تراجع ولا تنازل ولا أفول في جادّة الحقّ الإلهيّ.

الزخم الحدثيّ اللاحق:

بعض الخطب تفقد قوّتها وشدّة تأثيرها في المتلقّي وانطباعها في وعي المخاطب بعد مدّة وجيزة جدّا، إذ يُضعِفُها ويُمِيتُها تناشزُ الأحداث -الواقعة بعدها- مع مراميها وأهدافها، كأن يُلقي الخطيب خطبة في فضل شهر رمضان في آخر ليلة منه، فيتلوها العيد في اليوم التالي فلا تكتسب تلك المكانة فيما لو ألقيت في

الليلة الأولى من شهر رمضان إذ النفوس المستعدة لتلقّي شهر الله الفضيل فضلا عن الأعمال العباديّة الصادرة عن الخطيب في محفل القوم طيلة الشهر الفضيل المتوائمة مع الخطبة، فيضحي الخطيب ترجمانا لخطبته وتوكيدا لمراميها لدى المخاطبين.

إنّ المتتبّع لأفعال الزهراء عليها السلام اللاحقة بعد إلقاء خطبتها، يدرك جيّدا مقدار فطنة الزهراء وحرصها على تقوية مضامين خطبتها وتثبيت موقفها الذي أعلنته فيها، وكان لها ذلك؛ إذ عرف المسلمون جميعا ثباتها على موقفها وتشبّثها بمناهضة القوم الناكثين لعهد الله ورسوله، بل إنّ الأمر كان من القوّة والثبات والشياع أن وصل إلى متون كتب أهل السنّة أنفسهم المؤلّفة بعد قرون من الحادثة، مع شدّة حرص الأمويّين ومن تلاهم على محو ذلك كلّه؛ إذ تشير الروايات بحسب المذكور في مصادر أهل السنّة بدقّة إلى ما سار إليه الأمر وما نجم عنه، إذ ورد فيها: «فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر رضي الله عنه، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت»[١٧].

ولم يقف الأمر عند هذا فحسب، بل حرصت على تأكيد ذلك وتثبيت حقّها حتّى بعد وفاتها إذ أوصت الإمام عليّا عليه السلام قبيل وفاتها أن يدفنها ليلاً وأن لا يحضرها الشيخان، ف» عن عائشة قالت دفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا دفنها علي ولم يشعر بها أبو بكر رضي الله عنه حتى دفنت وصلى عليها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»[١٨]، وعلّل ذلك ابن حجر أنّه : «كان ذلك بوصيّة منها»[١٩]، لقد كان لهذه الأحداث جميعا

اللاحقة لإلقاء الخطبة أثر في توكيد مراميها وثبات مفاهيمها وتقوّية مقاصدها، ولقد أثبتت الزهراء عليها السلام علو كعبها في فهم مجريات الأحداث وفي استيعاب أهميّة الزخم الحدثيّ اللاحق لخطبتها العصماء.

الخاتمة

قوّة النصّ ومستوى تأثيره في المتلقي لا يقف على الجنبة اللغوية فيه مهما بلغت براعة وارتقت منزلا، إذ هناك مؤثرات أخرى تحيط بالنصّ وتؤازره؛ فالمؤازرات اللانصّية: هي جميع العوامل التي تؤازر الكلام وتُقوّي مضامينه وتشدُّ تأثيره في المتلقّي، نحو: التوطئات المسرحيّة، وكسر أفق التوقّع اللّالغويّ، والزخم الحدثيّ اللّاحق، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة الحدث، والزمان، والمكان، والمقام، وشخصيّة المتكلّم، ونفسيّة المتلقّي، وتلوين الأداء الصوتي ، وهذه المؤازرات تشترك بعلاقة عموم وخصوص مع السياق غير اللغويّ، ولكنها ليست علاقة تطابق.

إنّ الزهراء ﷺكانت مثالا للمرأة الواعية والخطيب الحذق والثائر الملمّ بمجريات الأمور؛ فلم تألُ جهدا أن تستثمر جميع المؤازرات اللانصّية في تقويّة خطبتها وتأثيرها في المتلقّي، فكان نتاج ذلك أن سلبت الشرعيّة من المستبدّين على الرغم من كل جهودهم المبذولة في هذا الجانب، وأسسّت لخطّ الممانعة الأوّل المتصدّي للحاكم الظالم في تاريخ المسلمين؛ فكانت الشرارة الأولى لجميع الثورات والانتفاضات التي لحقتها في العصور الإسلامية المختلفة.

الهوامش

١ – اللغة والدلالة آراء ونظريات: ٦٥، ٦٦.
٢ – مقاييس اللغة: أزر ١/ ١٠٢.
٣ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار:٤٣/ ٣٩.
٤ – الأمالي للشيخ المفيد: ٩٥.
٥ – شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ٣/ ٦٠.
٦ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:١/ ٤٣.
٧ – شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٨٠.
٨ – الاحتجاج: ١/ ١٣١، ١٣٢.
٩ – اللغة والإبداع: ٥٤، ٥٥.
١٠ – دراسة الصوت اللغوي: ٣٥٧.
١١ – الاحتجاج: ١/ ١٣٢.
١٢ – المصدر نفسه: ١/ ١٣٤.
١٣ – المصدر نفسه: ١/ ١٣٨.
١٤ – بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٩، ١٦٠.
١٥ – المصدر نفسه: ٤٣/ ١٦٠.
١٦ – المصدر نفسه: ٤٣/ ١٦٠.
١٧ – مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٤٢.
١٨ – المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦٣، وينظر: صحيح مسلم: ٥/ ١٥٤.
١٩ – فتح الباري: ٧/ ٢٧٨.

المصادر:

القرآن الكريم.
*الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن عليٍّ الطبرسيِّ(ت٦٢٠هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الخرسان، النجف الأشرف ١٩٦٦م.
*الأمالي، لأبي عبد الله محمّد بن نعمان المفيد(ت٤١٣هـ)، تحقيق الحسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد ١٤١٤هـ.
*بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، لمحمَّد باقر المجلسيِّ، ط٢، بيروت ١٩٨٣م.
*جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد إبرهيم مصطفى، المكتبة العصريّة، بيروت (د.ت).
*دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٤م.
*شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط٢، قمّ ١٤١٤هـ.
*شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قمّ.
*صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، البخاري (ت ٢٦٤هـ) طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، بيروت ١٩٨١م.
*صحيح مسلم، لمسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر بيروت.
*فتح الباري ،لابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة بيروت.
*اللغة والإبداع شكري عياد، القاهرة ١٩٨٨م.
*اللغة والدلالة آراء ونظريات، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق ١٩٨١م.
*المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
*مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، دار صادر، بيروت(د.ت).
*مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.